أبو داود عن عبد الله بن محمد النفيلي عن زهير به ، فالصحابة رضي الله عنهم خلصت نياتهم وحسنت أعمالهم فكل من نظر إليهم أعجبوه في سمتهم وهديهم . وقال مالك رضي الله عنه : بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة رضي الله عنهم الذين فتحوا الشام يقولون : والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا ، وصدقوا في ذلك فإن هذه الأمة معظمة في الكتب المتقدمة ، وأعظمها وأفضلها أصحاب رسول الله ﷺ ، وقد نوه الله تبارك وتعالى بذكرهم في الكتب المنزلة والأخبار المتداولة ، ولهذا قال سبحانه وتعالى ههنا ﴿**ذلك مثلهم في التوراة**﴾ ثم قال ﴿**ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه**﴾ أي فراخه ﴿**فآزره**﴾ أي شده ﴿**فاستغلظ**﴾ أي شب وطال ﴿**فاستوى على سوقه يعجب الزراع**﴾ أي فكذلك أصحاب رسول الله ﷺ آزروه وأيدوه ونصروه فهم معه كالشطء مع الزرع ﴿**ليغيظ بهم الكفار**﴾ .

ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك رحمة الله عليه ، في رواية عنه ، بتكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة رضي الله عنهم قال : لأنهم يغيظونهم ومن غاظ الصحابة رضي الله عنهم فهو كافر لهذه الآية ، ووافقه طائفة من العلماء رضي الله عنهم على ذلك ، والأحاديث في فضل الصحابة رضي الله عنهم والنهي عن التعرض لهم بمساويهم كثيرة ، ويكفيهم ثناء الله عليهم ورضاه عنهم . ثم قال تبارك وتعالى : ﴿**وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم**﴾ من هذه لبيان الجنس ﴿**مغفرة**﴾ أي لذنوبهم ﴿**وأجراً عظيماً**﴾ أي ثواباً جزيلاً ورزقاً كريماً . ووعد الله حق وصدق لا يخلف ولا يبدل ، وكل من اقتفى أثر الصحابة رضي الله عنهم فهو في حكمهم ، ولهم الفضل والسبق والكمال الذي لا يلحقهم فيه أحد من هذه الأمة ، رضي الله عنهم وأرضاهم وجعل جنات الفردوس مأواهم ، وقد فعل . قال مسلم في صحيحه : حدثنا يحيى بن يحيى ، حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه» . آخر تفسير سورة الفتح ولله الحمد والمنة .

سورة الحجرات

ترتيبها ٤٩ — آياتها ١٨

بسم الله الرحمن الرحيم

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾

هذه آيات أدب الله تعالى بها عباده المؤمنين ، فيما يعاملون به الرسول ﷺ من التوقير والاحترام والتبجيل والاعظام ، فقال تبارك وتعالى : ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله**﴾ أي لا تسارعوا في الأشياء بين يديه أي قبله ، بل كونوا تبعاً له في جميع الأمور حتى يدخل في عموم هذا الأدب الشرعي حديث معاذ رضي الله عنه حيث قال له النبي ﷺ حين بعثه الى اليمن «بمَ تحكم ؟» قال : بكتاب الله تعالى ، قال ﷺ «فإن لم تجد ؟» قال : بسنة رسول الله ﷺ ، قال ﷺ «فإن لم تجد ؟» قال رضي الله عنه : أجتهد رأيي ، فضرب في صدره وقال «الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله ﷺ لما يرضي رسول الله ﷺ» . وقد رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجة فالغرض منه أنه أخر رأيه ونظره واجتهاده إلى ما بعد الكتاب والسنة . ولو قدمه قبل البحث عنهما لكان من باب التقديم بين يدي الله ورسوله .

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿**لا تقدموا بين يدي الله ورسوله**﴾ لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة ، وقال العوفي عنه : نهوا أن يتكلموا بين يدي كلامه ، وقال مجاهد : لا تفتاتوا على رسول الله ﷺ بشيء حتى يقضي الله تعالى على لسانه ، وقال الضحاك : لا تقضوا أمراً دون الله ورسوله من شرائع دينكم ، وقال سفيان الثوري ﴿**لا تقدموا بين يدي الله ورسوله**﴾ بقول ولا فعل ، وقال الحسن البصري ﴿**لا تقدموا بين يدي الله ورسوله**﴾ قال : لا تدعوا قبل

obeikandi.com

الإمام ، وقال قتادة : ذكر لنا إن ناسا كانوا يقولون لو أنزل في كذا وكذا ، لو صح كذا ، فكره الله تعالى ذلك وتقدم فيه ﴿**واتقوا الله**﴾ أي فيما أمركم به ﴿**إن الله سميع**﴾ أي لأقوالكم ﴿**عليم**﴾ بنياتكم .

وقوله تعالى : ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي**﴾ هذا أدب ثان أدب الله تعالى به المؤمنين أن لا يرفعوا أصواتهم بين يدي النبي ﷺ فوق صوته ، وقد روي أنها نزلت في الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما . وقال البخاري : حدثنا بسرة بن صفوان اللخمي ، حدثنا نافع بن عمر عن أبي مليكة ، قال : كاد الخيران أن يهلكا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، رفعا أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب بني تميم ، فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس رضي الله عنه أخي بني مجاشع ، وأشار الآخر برجل آخر ، قال نافع : لا أحفظ اسمه ، فقال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما : ما أردت إلا خلافي ، قال : ما أردت خلافك ، فارتفعت اصواتهما في ذلك فأنزل الله تعالى : ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون**﴾ قال ابن الزبير رضي الله عنهما فما كان عمر رضي الله عنه يسمع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه ، ولم يذكر ذلك عن أبيه يعني أبا بكر رضي الله عنه . انفرد به دون مسلم .

ثم قال البخاري : حدثنا حسن بن محمد ، حدثنا حجاج عن ابن جريج ، حدثني ابن أبي مليكة أن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما أخبره أنه قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ فقال أبو بكر رضي الله عنه : أمر القعقاع بن معبد . وقال عمر رضي الله عنه : بل أمر الأقرع بن حابس ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : ما أردت إلا خلافي ، فقال عمر رضي الله عنه : ما أردت خلافك ، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله**﴾ حتى انقضت الآية ﴿**ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم**﴾ الآية . وهكذا رواه ههنا منفرداً به أيضاً وقال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده : حدثنا الفضل بن سهل ، حدثنا إسحاق بن منصور ، حدثنا حصين بن عمر عن مخارق عن طارق بن شهاب عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي**﴾ قلت : يا رسول الله والله لا أكلمك إلا كأخي السرار . حصين بن عمر ، هذا وإن كان ضعيفاً لكن قد رويناه من حديث عبد الرحمن بن عوف وأبي هريرة رضي الله عنهما بنحو ذلك ، والله أعلم . وقال البخاري : حدثنا علي بن عبد الله ، حدثنا أزهر بن سعد ، أخبرنا ابن عون ، أنبأني موسى بن أنس عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ افتقد ثابت بن قيس رضي الله عنه فقال رجل : يا رسول الله أنا أعلم لك علمه ، فأتاه فوجده في بيته منكساً رأسه فقال له : ما شأنك ؟ فقال : شر كان يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ فقد حبط عمله فهو من أهل النار ، فأتى الرجل النبي ﷺ فأخبره أنه قال كذا وكذا ، قال موسى : فرجع إليه المرة الأخرة ببشارة عظيمة فقال «اذهب إليه فقل له إنك لست من أهل النار ولكن من أهل الجنة» تفرد به البخاري من هذا الوجه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هاشم ، حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي - إلى قوله - وأنتم لا تشعرون**﴾ وكان ثابت بن قيس بن الشماس رفيع الصوت فقال : انا الذي كنت أرفع صوتي على رسول الله ﷺ ، أنا من أهل النار حبط عملي وجلس في أهله حزيناً ففقده رسول الله ﷺ فانطلق بعض القوم اليه فقالوا له : تفقدك رسول الله ﷺ ما لك ؟ قال : أنا الذي أرفع صوتي فوق صوت النبي ﷺ وأجهر له بالقول حبط عملي أنا من أهل النار ، فأتوا النبي ﷺ فأخبروه بما قال ، فقال النبي ﷺ «لا ، بل هو من أهل الجنة» قال أنس رضي الله عنه : فكنا نراه يمشي بين أظهرنا ونحن نعلم أنه من أهل الجنة ، فلما كان يوم اليمامة كان فينا بعض الانكشاف فجاء ثابت بن قيس بن شماس ، وقد تحنط ولبس كفنه فقال : بئسما تعودون أقرانكم فقاتلهم حتى قتل رضي الله عنه .

وقال مسلم : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا الحسن بن موسى ، حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي**﴾ إلى آخر الآية ، جلس ثابت رضي الله عنه في بيته قال : أنا من أهل النار ، واحتبس عن النبي ﷺ فقال النبي ﷺ لسعد بن معاذ «يا أبا عمرو ما شأن ثابت اشتكى ؟» فقال سعد رضي الله عنه : إنه لجاري وما علمت له بشكوى . قال : فأتاه سعد رضي الله عنه فذكر له قول رسول الله ﷺ فقال ثابت رضي الله عنه : أنزلت هذه الآية ولقد علمتم اني من أرفعكم صوتاً على رسول الله ﷺ فأنا من أهل النار ، فذكر ذلك سعد رضي الله عنه للنبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ «بل هو من أهل الجنة» ثم رواه مسلم عن أحمد بن سعيد الدارمي عن حيان بن هلال عن سليمان بن المغيرة به ، قال ولم يذكر سعد بن معاذ رضي الله عنه ، وعن قطن بن بشير عن جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس رضي الله عنه بنحوه ، وقال ليس فيه ذكر سعد بن معاذ

رضي الله عنه . حدثني هدبة بن عبد الأعلى الأسدي ، حدثنا المعتمر بن سليمان ، سمعت أبي يذكر عن أنس رضي الله عنه قال : ما نزلت هذه الآية فاقتص الحديث ولم يذكر سعد بن معاذ رضي الله عنه وزاد : فكنا نراه يمشي بين أظهرنا رجل من أهل الجنة . فهذه الطرق الثلاث معللة لرواية حماد بن سلمة فيما تفرد به من ذكر سعد بن معاذ رضي الله عنه ، والصحيح ان حال نزول هذه الآية لم يكن سعد بن معاذ رضي الله عنه موجوداً ، لأنه كان قد مات بعد بني قريظة بأيام قلائل سنة خمس ، وهذه الآية نزلت في وفد بني تميم ، والوفود إنما تواتروا في سنة تسع من الهجرة ، والله أعلم .

وقال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا زيد بن الحباب ، حدثنا أبو ثابت بن ثابت بن قيس بن شماس ، حدثني عمي إسماعيل بن محمد بن ثابت بن قيس بن شماس عن أبيه رضي الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية **﴿لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول﴾** قال : قعد ثابت بن قيس رضي الله عنه في الطريق يبكي ، قال : فمر به عاصم بن عدي من بني العجلان فقال : ما يبكيك يا ثابت ؟ قال : هذه الآية أتخوف أن تكون نزلت فيّ وأنا صيت رفيع الصوت . قال : فمضى عاصم بن عدي رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ ، قال : وغلبه البكاء فأتى امرأته جميلة ابنة عبد الله بن أبي ابن سلول ، فقال لها : إذا دخلت بيت فرشي فشدي على الضبة بمسمار ، فضربته بمسمار حتى أذا خرج عطفه وقال : لا أخرج حتى يتوفاني الله تعالى ، أو يرضى عني رسول الله ﷺ ، قال وأتى عاصم رضي الله عنه رسول الله ﷺ فأخبره خبره فقال «اذهب فادعه لي» فجاء عاصم رضي الله عنه إلى المكان فلم يجده ، فجاء إلى أهله ، فوجده في بيت الفرش فقال له : إن رسول الله ﷺ يدعوك ، فقال : اكسر الضبة ، قال : فخرجا فأتيا النبي ﷺ فقال له رسول الله ﷺ «ما يبكيك يا ثابت ؟» فقال رضي الله عنه : أنا صيت وأتخوف أن تكون هذه الآية نزلت في **﴿لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول﴾** فقال له النبي ﷺ «أما ترضى أن تعيش حميداً وتقتل شهيداً وتدخل الجنة ؟» فقال : رضيت ببشرى الله تعالى ورسوله ﷺ ، ولا أرفع صوتي أبداً على صوت رسول الله ﷺ .

قال : وأنزل الله تعالى : **﴿إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى﴾** الاية : وقد ذكر هذه القصة غير واحد من التابعين كذلك ، فقد نهى الله عز وجل عن رفع الأصوات بحضرة رسول الله ﷺ ، وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع صوت رجلين في مسجد النبي ﷺ قد ارتفعت أصواتهما ، فجاء فقال : أتدريان أين أنتما ؟ ثم قال : من أين أنتما ؟ قالا : من أهل الطائف ، فقال : لو كنتما من أهل المدينة لأوجعتكما ضرباً . وقال العلماء : يكره رفع الصوت عند قبره ﷺ كما كان يكره في حياته عليه الصلاة والسلام ، لأنه محترم حياً وفي قبره ﷺ دائماً ، ثم نهى عن الجهر له بالقول كما يجهر الرجل لمخاطبه ممن عداه ، بل يخاطب بسكينة ووقار وتعظيم ، ولهذا قال تبارك وتعالى : **﴿ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض﴾** كما قال تعالى : **﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا﴾** .

وقوله عز وجل : **﴿أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون﴾** أي إنما نهيناكم عن رفع الصوت عنده ، خشية أن يغضب من ذلك فيغضب الله تعالى لغضبه ، فيحبط عمل من أغضبه وهو لا يدري كما جاء في الصحيح «ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى لا يلقي لها بالاً يكتب له بها الجنة ، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يُلقي لها بالاً يهوي بها في النار أبعد ما بين السماء والأرض» ثم ندب الله تعالى إلى خفض الصوت عنده وحث على ذلك ، وأرشد إليه ، ورغب فيه فقال **﴿إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى﴾** أي أخلصها لها وجعلها أهلاً ومحلاً **﴿لهم مغفرة وأجر عظيم﴾** وقد قال الإمام أحمد في كتاب الزهد : حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا سفيان عن منصور عن مجاهد قال : كتب إلى عمر : يا أمير المؤمنين ، رجل لا يشتهي المعصية ، ولا يعمل بها أفضل ، أم رجل يشتهي المعصية ولا يعمل بها فكتب عمر رضي الله عنه : ان الذين يشتهون المعصية ولا يعملون بها **﴿أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم﴾** .

إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾

ثم إنه تبارك وتعالى ذم الذين ينادونه من وراء الحجرات وهي بيوت نسائه ، كما يصنع أجلاف الأعراب فقال **﴿أكثرهم لا يعقلون﴾** ثم أرشد تعالى الى الأدب في ذلك فقال عز وجل **﴿ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً**

لهم﴾ أي لكان لهم في ذلك الخيرة والمصلحة في الدنيا والآخرة . ثم قال جل ثناؤه داعياً لهم إلى التوبة والإنابة ﴿والله غفور رحيم﴾ وقد ذكر أنها نزلت في الأقرع بن حابس التميمي رضي الله عنه فيما أورده غير واحد . قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا وهيب ، حدثنا موسى بن عقبة عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن الأقرع بن حابس رضي الله عنه ، أنه نادى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد يا محمد ، وفي رواية : يا رسول الله ، فلم يجبه فقال : يا رسول الله إن حمدي لزين ، وإن ذمي لشين ، فقال ﷺ «ذاك الله عز وجل» وقال ابن جرير : حدثنا أبو عمار الحسين بن حريث المروزي ، حدثنا الفضل بن موسى عن الحسين بن واقد ، عن أبي إسحاق عن البراء في قوله تبارك وتعالى : ﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات﴾ قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد ؛ ان حمدي زين وذمي شين ، فقال ﷺ «ذاك الله عز وجل» وهكذا ذكره الحسن البصري وقتادة مرسلاً .

وقال سفيان الثوري عن حبيب بن أبي عمرة قال : كان بشر بن غالب ولبيد بن عطارد أو بشر بن عطارد ولبيد بن غالب ، وهما عند الحجاج جالسان ، فقال بشر بن غالب للبيد بن عطارد : نزلت في قومك بني تميم ﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات﴾ قال : فذكرت ذلك لسعيد بن جبير ، فقال : أما انه لو علم بآخر الآية اجابه ﴿يمنون عليك أن أسلموا﴾ قالوا : أسلمنا ولم يقاتلك بنو أسد ، وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عمرو بن علي الباهلي . حدثنا المعتمر بن سليمان قال : سمعت داود الطائي يحدث عن أبي مسلم البجلي عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال : اجتمع أناس من العرب فقالوا : انطلقوا بنا إلى هذا الرجل فإن يك نبياً فنحن أسعد الناس به ، وإن يك ملكاً نعش بجناحه . قال : فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته بما قالوا فجاءوا إلى حجرة النبي ﷺ فجعلوا ينادونه وهو في حجرته : يا محمد يا محمد ، فأنزل الله تعالى : ﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون﴾ قال : فأخذ رسول الله ﷺ بأذني ، فمدها فجعل يقول «لقد صدق الله تعالى قولك يا زيد ، لقد صدق الله قولك يا زيد» ورواه ابن جرير عن الحسن بن عرفة ، عن المعتمر بن سليمان به .

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٨﴾

يأمر تعالى بالتثبت في خبر الفاسق ليحتاط له لئلا يحكم بقوله ، فيكون في نفس الأمر كاذباً أو مخطئاً ، فيكون الحاكم بقوله قد اقتفى وراءه ، وقد نهى الله عز وجل عن اتباع سبيل المفسدين ، ومن هاهنا امتنع طوائف من العلماء من قبول رواية مجهول الحال لاحتمال فسقه في نفس الأمر ، وقبلها آخرون لانا إنما أمرنا بالتثبت عند خبر الفاسق ، وهذا ليس بمحقق الفسق لأنه مجهول الحال ، وقد قررنا هذه المسألة في كتاب العلم من شرح البخاري ولله تعالى الحمد والمنة ، وقد ذكر كثير من المفسرين أن هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، حين بعثه رسول الله ﷺ على صدقات بني المصطلق ، وقد روي ذلك من طرق ومن أحسنها ما رواه الإمام أحمد في مسنده من رواية ملك بني المصطلق ، وهو الحارث بن أبي ضرار والد جويرية بنت الحارث أم المؤمنين رضي الله عنها . قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن سابق ، حدثنا عيسى بن دينار ، حدثني أبي أنه سمع الحارث بن أبي ضرار الخزاعي رضي الله عنه يقول ؛ قدمت على رسول الله ﷺ فدعاني إلى الاسلام فدخلت فيه وأقررت به . ودعاني إلى الزكاة فأقررت بها وقلت يا رسول الله أرجع إليهم فأدعوهم إلى الاسلام وأداء الزكاة فمن استجاب لي جمعت زكاته . وترسل إلي يا رسول الله رسولاً إبان كذا وكذا ليأتيك بما جمعت من الزكاة .

فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له وبلغ الابان الذي أراد رسول الله ﷺ أن يبعث إليه احتبس عليه الرسول لم يأته وظن الحارث أنه قد حدث فيه سخطة من الله تعالى ورسوله ، فدعا بسروات قومه فقال لهم إن رسول الله ﷺ كان وقت لي وقتاً يرسل إلي رسوله ليقبض ما كان عندي من الزكاة وليس من رسول الله ﷺ الخلف ، ولا أرى حبس رسوله إلا من سخطة ، فانطلقوا بنا نأتي رسول الله ﷺ ، وبعث رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة الى الحارث ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة ، فلما أن سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق فرق أي خاف ، فرجع حتى أتى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله إن الحارث قد منعني الزكاة وأراد قتلي ، فغضب رسول الله ﷺ وبعث البعث إلى الحارث رضي الله عنه وأتى الحارث بأصحابه

حتى إذا استقبل البعث وفصل عن المدينة لقيهم الحارث فقالوا : هذا الحارث ، فلما غشيهم قال لهم : إلى من بعثتم ؟ قالوا : اليك . قال : ولِمَ ؟ قالوا : ان رسول الله ﷺ بعث إليك الوليد بن عقبة فزعم أنك منعته الزكاة وأردت قتله . قال رضي الله عنه : لا والذي بعث محمداً ﷺ بالحق ما رأيته بتة ولا أتاني .

فلما دخل الحارث على رسول الله قال : «منعت الزكاة وأردت قتل رسولي ؟» قال : لا والذي بعثك بالحق ما رأيته ولا أتاني وما أقبلت الا حين احتبس علي رسول رسول الله ﷺ ، خشيت أن يكون كانت سخطة الله تعالى ورسوله . قال فنزلت الحجرات ﴿**يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ** - إلى قوله - **حكيم**﴾ ورواه ابن أبي حاتم عن المنذر بن شاذان التمار عن محمد بن سابق به ، ورواه الطبراني من حديث محمد بن سابق به ، غير أنه سماه الحارث بن سرار والصواب أنه الحارث بن ضرار كما تقدم . وقال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا جعفر بن عون عن موسى بن عبيدة عن ثابت مولى ام سلمة ، عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : بعث رسول الله ﷺ رجلاً في صدقات بني المصطلق بعد الوقيعة فسمع بذلك القوم فتلقوه يعظمون أمر رسول الله ﷺ قالت فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله ، قالت فرجع إلى رسول الله ﷺ فقال : إن بني المصطلق قد منعوني صدقاتهم . فغضب رسول الله ﷺ والمسلمون ، قالت فبلغ القوم رجوعه ، فأتوا رسول الله ﷺ فصفوا له حين صلى الظهر ، فقالوا : نعوذ بالله من سخط الله وسخط رسوله ، بعثت الينا رجلاً مصدقاً فسررنا بذلك وقرت به أعيننا . ثم إنه رجع من بعض الطريق فخشينا أن يكون ذلك غضباً من الله تعالى ومن رسوله ﷺ ، فلم يزالوا يكلمونه حتى جاء بلال رضي الله عنه فأذن بصلاة العصر قالت ونزلت ﴿**يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين**﴾ .

وروى ابن جرير أيضاً من طريق العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية قال : كان رسول الله ﷺ بعث الوليد بن عقبة بن أبي معيط إلى بني المصطلق ليأخذ منهم الصدقات ، وإنهم لما أتاهم الخبر فرحوا وخرجوا يتلقون رسول الله ﷺ ، وانه لما حدث الوليد انهم خرجوا يتلقونه رجع الوليد إلى رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله إن بني المصطلق قد منعوا الصدقة ، فغضب رسول الله ﷺ من ذلك غضباً شديداً ، فبينا هو يحدث نفسه أن يغزوهم إذ أتاه الوفد فقالوا : يا رسول الله ، إنا حدثنا أن رسولك رجع من نصف الطريق ، وإنا خشينا أن ما رده كتاب جاء منك لغضب غضبته علينا ، وإنا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله ، وإن النبي ﷺ استغشهم وهم بهم ، فأنزل الله تبارك وتعالى عذرهم في الكتاب فقال : ﴿**يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا**﴾ إلى آخر الآية .

وقال مجاهد وقتادة : أرسل رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة إلى بني المصطلق ليصدقهم ، فتلقوه بالصدقة فرجع فقال إن بني المصطلق قد جمعت لك لتقاتلك ، زاد قتادة : وإنهم قد ارتدوا عن الاسلام . فبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد رضي الله عنه إليهم ، وأمره أن يتثبت ولا يعجل ، فانطلق حتى أتاهم ليلاً فبعث عيونه فلما جاءوا أخبروا خالداً رضي الله عنه أنهم مستمسكون بالإسلام ، وسمعوا أذانهم وصلاتهم ، فلما أصبحوا أتاهم خالد رضي الله عنه فرأى الذي يعجبه فرجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر فأنزل الله تعالى هذه الآية . قال قتادة : فكان رسول الله ﷺ يقول «التثبت من الله والعجلة من الشيطان» وكذا ذكر غير واحد من السلف منهم ابن أبي ليلى ويزيد بن رومان والضحاك ، ومقاتل بن حيان ، وغيرهم في هذه الآية أنها نزلت في الوليد بن عقبة ، والله أعلم .

وقوله تعالى : ﴿**واعلموا أن فيكم رسول الله**﴾ أي اعلموا أن بين أظهركم رسول الله فعظموه ووقروه وتأدبوا معه وانقادوا لأمره ، فإنه أعلم بمصالحكم وأشفق عليكم منكم ، ورأيه فيكم أتم من رأيكم لأنفسكم كما قال تبارك وتعالى : ﴿**النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم**﴾ ثم بين أن رأيهم سخيف بالنسبة الى مراعاة مصالحهم فقال ﴿**لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم**﴾ أي لو أطاعكم في جميع ما تختارونه لأدى ذلك إلى عنتكم وحرجكم ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿**ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون**﴾ وقوله عز وجل ﴿**ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم**﴾ أي حببه إلى نفوسكم وحسنه في قلوبكم .

قال الإمام أحمد : حدثنا بهز حدثنا علي بن مسعدة ، حدثنا قتادة عن أنس رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يقول «الاسلام علانية والإيمان في القلب - قال ثم يشير بيده إلى صدره ثلاث مرات ثم يقول - التقوى ههنا التقوى ههنا» ﴿**وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان**﴾ أي وبغض إليكم الكفر والفسوق وهي الذنوب الكبار والعصيان ، وهي جميع المعاصي وهذا تدريج لكمال النعمة ، وقوله تعالى : ﴿**أولئك هم الراشدون**﴾ أي المتصفون بهذه الصفة هم الراشدون الذين قد آتاهم الله رشدهم .

قال الإمام أحمد : حدثنا مروان بن معاوية الفزاري ، حدثنا عبد الواحد بن أيمن المكي عن أبي رفاعة الزرقي عن أبيه

قال : لما كان يوم أحد وانكفأ المشركون قال رسول الله ﷺ «استووا حتى أثني على ربي عز وجل» فصاروا خلفه صفوفاً فقال ﷺ «اللهم لك الحمد كله ، اللهم لا قابض لما بسطت ولا باسط لما قبضت ، ولا هادي لمن أضللت ، ولا مضل لمن هديت ، ولا معطي لما منعت ولا مانع لما أعطيت ، ولا مقرب لما باعدت ، ولا مباعد لمن قربت . اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك ، اللهم إني أسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول . اللهم إني أسألك النعيم يوم العيلة والأمن يوم الخوف . اللهم إني عائذ بك من شر ما أعطيتنا ومن شر ما منعتنا . اللهم حبب إلينا الايمان وزينه في قلوبنا وكره الينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين . اللهم توفنا مسلمين وأحينا مسلمين وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين ، اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك ويصدون عن سبيلك واجعل عليهم رجزك وعذابك ، اللهم قاتل الكفرة الذين أتوا الكتاب إله الحق» ورواه النسائي في اليوم والليلة عن زياد بن أيوب عن مروان بن معاوية عن عبد الواحد بن أيمن عن عبيد بن رفاعة عن أبيه به . وفي الحديث المرفوع «من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن» ثم قال **﴿فضلاً من الله ونعمة﴾** أي هذا العطاء الذي منحكموه هو فضل منه عليكم ونعمة من لدنه **﴿والله عليم حكيم﴾** أي عليم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الغواية حكيم في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره .

وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا

عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ

﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾

يقول تعالى آمراً بالاصلاح بين الفئتين الباغيتين بعضهم على بعض **﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما﴾** فسماهم مؤمنين مع الاقتتال ، وبهذا استدل البخاري وغيره على أنه لا يخرج عن الإيمان بالمعصية وان عظمت ، لا كما يقوله الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة ونحوهم ، وهكذا ثبت في صحيح البخاري من حديث الحسن عن أبي بكر رضي الله عنه قال : إن رسول الله ﷺ خطب يوماً ، ومعه على المنبر الحسن بن علي رضي الله عنهما ، فجعل ينظر اليه مرة ، وإلى الناس أخرى ويقول «إن ابني هذا سيد ولعل الله تعالى أن يصلح به بين فئتين من المسلمين» . فكان كما قال ﷺ ، أصلح الله تعالى به بين أهل الشام وأهل العراق بعد الحروب الطويلة ، والواقعات المهولة . وقوله تعالى : **﴿فان بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله﴾** أي حتى ترجع إلى أمر الله ورسوله ، وتسمع للحق وتطيعه ، كما ثبت في الصحيح عن أنس رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً» قلت : يا رسول الله ، هذا نصرته مظلوم ، فكيف أنصره ظالماً ؟ قال ﷺ «تمنعه من الظلم فذاك نصرك إياه» .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عارم ، حدثنا معتمر قال : سمعت أبي يحدث أن أنساً رضي الله عنه قال : قيل للنبي ﷺ ، لو أتيت عبد الله بن أبي ، انطلق اليه النبي ﷺ ، وركب حماراً وانطلق المسلمون يمشون ، وهي أرض سبخة ، فلما انطلق النبي ﷺ اليه قال «إليك عني فوالله لقد آذاني ريح حمارك» فقال رجل من الأنصار : والله لحمار رسول الله ﷺ أطيب ريحاً منك . قال : فغضب لعبد الله رجال من قومه ، فغضب لكل واحد منهما أصحابه ، قال : فكان بينهم ضرب بالجريد والأيدي والنعال ، فبلغنا أنه أنزلت فيهم **﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما﴾** ورواه البخاري في الصلح عن مسدد ومسلم في المغازي عن محمد بن عبد الأعلى كلاهما عن المعتمر بن سليمان عن أبيه به نحوه .

وذكر سعيد بن جبير أن الأوس والخزرج كان بينهما قتال بالسعف والنعال ، فأنزل الله تعالى هذه الآية فأمر بالصلح بينهما . وقال السدي : كان رجل من الأنصار يقال له عمران ، كانت له امرأة تدعى أم زيد ، وإن المرأة أرادت أن تزور أهلها ، فحبسها زوجها وجعلها في علية له لا يدخل عليها أحد من أهلها . وإن المرأة بعثت إلى أهلها ، فجاء قومها وأنزلوها لينطلقوا بها ، وإن الرجل كان قد خرج ، فاستعان أهل الرجل ، فجاء بنو عمه ليحولوا بين المرأة وبين أهلها ، فتدافعوا واجتلدوا بالنعال فنزلت فيهم الآية ، فبعث اليهم رسول الله ﷺ وأصلح بينهم وفاءوا إلى أمر الله تعالى . وقوله عز وجل **﴿فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين﴾** أي اعدلوا بينهما فيما كان أصاب بعضهم لبعض بالقسط وهو العدل **﴿إن الله يحب المقسطين﴾** .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي ، حدثنا عبد الأعلى عن معمر عن الزهري

عن سعيد بن المسيب عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : إن رسول الله ﷺ قال «إن المقسطين في الدنيا على منابر من لؤلؤ بين يدي الرحمن عز وجل بما أقسطوا في الدنيا» ورواه النسائي عن محمد بن المثنى عن عبد الأعلى به . وهذا إسناده جيد قوي رجاله على شرط الصحيح ، وحدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد ، حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار ، عن عمرو بن أوس عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال «المقسطون عند الله تعالى يوم القيامة على منابر من نور على يمين العرش ، الذين يعدلون في حكمهم وأهاليهم وماولوا» ورواه مسلم والنسائي من حديث سفيان بن عيينة به .

وقوله تعالى : ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ أي الجميع أخوة في الدين ، كما قال رسول الله ﷺ «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه» وفي الصحيح «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه» وفي الصحيح أيضاً «إذا دعا المسلم لأخيه بظهر الغيب قال الملك آمين ولك مثله» والأحاديث في هذا كثيرة ، وفي الصحيح «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتواصلهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر» وفي الصحيح أيضاً «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً» وشبك بين أصابعه ﷺ .

وقال أحمد : حدثنا أحمد بن الحجاج ، حدثنا عبد الله ، أخبرنا مصعب بن ثابت حدثني أبو حازم قال : سمعت سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه يحدث رسول الله ﷺ قال «إن المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، يألم المؤمن لأهل الإيمان كما يألم الجسد في الرأس» تفرد به أحمد ولا بأس بإسناده . وقوله تعالى ﴿فأصلحوا بين أخويكم﴾ يعني الفئتين المقتتلتين ﴿واتقوا الله﴾ أي في جميع أموركم ﴿لعلكم ترحمون﴾ وهذا تحقيق منه تعالى للرحمة لمن اتقاه .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾

ينهى تعالى عن السخرية بالناس وهو احتقارهم والاستهزاء بهم ، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال «الكبر بطر الحق وغمص الناس - ويروى - وغمط الناس» والمراد من ذلك احتقارهم واستصغارهم ، وهذا حرام فانه قد يكون المحتقر أعظم قدراً عند الله تعالى ، وأحب اليه من الساخر منه المحتقر له ، ولهذا قال تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ، ولا نساء من نساء عسى أن يكنّ خيراً منهن﴾ فنص على نهي الرجال ، وعطف نهي النساء . وقوله تبارك وتعالى : ﴿ولا تلمزوا أنفسكم﴾ أي لا تلمزوا الناس . والهماز اللماز من الرجال مذموم ملعون كما قال تعالى : ﴿ويل لكل همزة لمزة﴾ والهمز بالفعل واللمز بالقول ، كما قال عز وجل ﴿هماز مشاء بنميم﴾ أي يحتقر الناس ويهمزهم طاغياً عليهم ويمشي بينهم بالنميمة وهي اللمز بالمقال ، ولهذا قال ههنا ﴿ولا تلمزوا أنفسكم﴾ كما قال ﴿ولا تقتلوا أنفسكم﴾ أي لا يقتل بعضكم بعضاً .

قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة ومقاتل بن حيان ﴿ولا تلمزوا أنفسكم﴾ أي لا يطعن بعضكم على بعض ، وقوله تعالى : ﴿ولا تنابزوا بالألقاب﴾ أي لا تداعوا بالألقاب ، وهي التي يسوء الشخص سماعها . قال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل ، حدثنا داود بن أبي هند عن الشعبي قال : حدثني أبو جبيرة بن الضحاك ، قال : فينا نزلت في بني سلمة ﴿ولا تنابزوا بالألقاب﴾ قال : قدم رسول الله ﷺ المدينة ، وليس فينا رجل إلا وله اسمان أو ثلاثة ، فكان إذا دعي منهم باسم من تلك الأسماء ، قالوا : يا رسول الله إنه يغضب من هذا ، فنزلت ﴿ولا تنابزوا بالألقاب﴾ ورواه أبو داود عن موسى بن إسماعيل عن وهب عن دواد به . وقوله جل وعلا ﴿بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان﴾ أي بئس الصفة والاسم الفسوق ، وهو التنابز بالألقاب كما كان أهل الجاهلية يتناعتون بعد ما دخلتم في الإسلام وعقلتموه ﴿ومن لم يتب﴾ أي من هذا ﴿فأولئك هم الظالمون﴾ .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾

obeikandl.com

يقول تعالى ناهياً عباده المؤمنين عن كثير من الظن ، وهو التهمة والتخون للأهل والأقارب والناس في غير محله ، لأن بعض ذلك يكون إثماً محضاً ، فليجتنب كثير منه احتياطاً . وروينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيراً ، وأنت تجد لها في الخير محملاً . وقال أبو عبد الله بن ماجة : حدثنا أبو القاسم بن أبي ضمرة نصر بن محمد بن سليمان الحمصي ، حدثنا أبي ، حدثنا عبد الله بن أبي قيس النضري ، حدثنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : رأيت النبي ﷺ يطوف بالكعبة ويقول «ما أطيبك واطيب ريحك ما أعظمك وأعظم حرمتك ، والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله تعالى حرمة منك ، ماله ودمه وأن يظن به الا خيراً» تفرد به ابن ماجة من هذا الوجه ، وقال مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «إياكم والظن فان الظن أكذب الحديث ، ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخوانا» رواه البخاري عن عبد الله بن يوسف ومسلم عن يحيى بن يحيى ، وأبو داود عن العتبي عن مالك به .

وقال سفيان بن عيينة عن الزهري عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا ، وكونوا عباد الله إخواناً ، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة ايام» . رواه مسلم والترمذي وصححه من حديث سفيان بن عيينة به . وقال الطبراني : حدثنا محمد بن عبد الله القرمطي العدوي ، حدثنا بكر بن عبد الوهاب المدني ، حدثنا إسماعيل بن قيس الانصاري ، حدثني عبد الرحمن بن محمد بن أبي الرجال عن أبيه ، عن جده حارثة بن النعمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «ثلاث لازمات لأمتي : الطيرة والحسد وسوء الظن» فقال الرجل : وما يذهبن يا رسول الله ممن هن فيه ؟ قال ﷺ «إذا حسدت فاستغفر الله ، وإذا ظننت فلا تحقق ، وإذا تطيرت فامض» .
وقال ابو داود : حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة ، حدثنا معاوية عن الأعمش عن زيد رضي الله عنه قال : أتي ابن مسعود رضي الله عنه برجل فقيل له : هذا فلان تقطر لحيته خمراً . فقال عبد الله رضي الله : قد نهينا عن التجسس ولكن إن يظهر لنا شيء نأخذ به . سماه ابن أبي حاتم في روايته الوليد بن عقبة بن أبي معيط . وقال الامام أحمد : حدثنا هاشم ، حدثنا ليث عن ابراهيم بن نشيط الخولاني ، عن كعب بن علقمة عن أبي الهيثم عن دجين كاتب عقبة قال : قلت لعقبة : إن لنا جيراناً يشربون الخمر وأنا داع لهم الشرط فيأخذونهم . قال : لا تفعل ولكن عظهم وتهددهم ، قال : ففعل فلم ينتهوا . قال : فجاءه دجين فقال : إني قد نهيتهم فلم ينتهوا وإني داع لهم الشرط فتأخذهم ، فقال له عقبة : ويحك لا تفعل ؟ فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول «من ستر عورة مؤمن فكأنما استحيا موؤدة من قبرها» ورواه أبو داود والنسائي من حديث الليث بن سعد به نحوه ، وقال سفيان الثوري عن راشد بن سعد عن معاوية رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول «إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم» فقال أبو الدرداء رضي الله عنه كلمة معاوية رضي الله عنه من رسول الله ﷺ نفعه الله تعالى بها ، ورواه أبو داود منفرداً به من حديث الثوري به .
وقال أبو داود أيضاً : حدثنا سعيد بن عمرو الحضرمي ، حدثنا اسماعيل بن عياش ، حدثنا ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن جبير بن نفير وكثير بن مرة ، وعمرو بن الأسود والمقدام بن معديكرب وأبي أمامة رضي الله عنهم عن النبي ﷺ قال «إن الامير إذا ابتغى الريبة في الناس أفسدهم» ﴿ولا تجسسوا﴾ أي على بعضكم بعضاً والتجسس غالباً يطلق في الشر ومنه الجاسوس . وأما التحسس فيكون غالباً في الخير كما قال عز وجل إخباراً عن يعقوب انه قال ﴿يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله﴾ وقد يستعمل كل منهما في الشر كما ثبت في الصحيح ان رسول الله ﷺ قال «لا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخواناً» وقال الأوزاعي : التجسس البحث عن الشيء . والحسس الاستماع إلى حديث القوم وهم له كارهون أو يتسمع على أبوابهم ، والتدابر : الصرم ، رواه ابن ابي حاتم عنه .

وقوله تعالى : ﴿ولا يغتب بعضكم بعضاً﴾ فيه نهي عن الغيبة ، وقد فسرها الشارع كما جاء في الحديث الذي رواه ابو داود : حدثنا القعنبي ، حدثنا عبد العزيز بن محمد عن العلاء عن أبيه عن ابي هريرة قال : قيل يا رسول الله ما الغيبة ؟ قال ﷺ : «ذكرك أخاك بما يكره» قيل : أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال ﷺ : «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته» ورواه الترمذي عن قتيبة عن الدراوردي به وقال : حسن صحيح . ورواه ابن جرير عن بندار عن غندر عن شعبة عن العلاء . وهكذا قال ابن عمر رضي الله عنهما ومسروق وقتادة وأبو إسحاق ومعاوية بن قرة .
وقال ابو داود : حدثنا مسدد ، حدثنا يحيى عن سفيان ، حدثني علي بن الأقمر عن أبي حذيفة عن عائشة رضي الله عنها قالت : قلت للنبي ﷺ حسبك من صفية كذا وكذا . قال غير مسدد : تعني قصيرة ، فقال ﷺ «لقد قلت كلمة لو مزجت

بماء البحر لمزجته» قالت : وحكيت له إنساناً فقال ﷺ «ما أحب أني حكيت إنساناً وإن لي كذا وكذا» ورواه الترمذي من حديث يحيى القطان وعبد الرحمن بن مهدي ووكيع ثلاثتهم عن سفيان الثوري ، عن علي بن الاقمر عن ابي حذيفة سلمة بن صهيب الأرحبي عن عائشة رضي الله عنها به وقال : حسن صحيح .

وقال ابن جرير : حدثني ابن ابي الشوارب ، حدثنا عبد الواحد بن زياد ، حدثنا سليمان الشيباني ، حدثنا حسان بن المخارق ان امرأة دخلت على عائشة رضي الله عنها ، فلما قامت لتخرج أشارت عائشة رضي الله عنها بيدها إلى النبي ﷺ أي إنها قصيرة فقال النبي ﷺ «اغتبتيها» والغيبة محرمة بالاجماع ، ولا يستثنى من ذلك إلا من رجحت مصلحته ، كما في الجرح والتعديل والنصيحة كقوله ﷺ ، لما استأذن عليه ذلك الرجل الفاجر «ائذنوا له بئس أخو العشيرة !» وكقوله ﷺ لفاطمة بنت قيس رضي الله عنها ، وقد خطبها معاوية وأبو الجهم «اما معاوية فصعلوك ، وأما ابو الجهم فلا يضع عصاه عن عاتقه» وكذا ما جرى مجرى ذلك ، ثم بقيتها على التحريم الشديد ، وقد ورد فيها الزجر الأكيد ، ولهذا شبهها تبارك وتعالى بأكل اللحم من الانسان الميت كما قال عز وجل ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه﴾ أي كما تكرهون هذا طبعاً فاكرهوا ذاك شرعاً ، فان عقوبته أشد من هذا ، وهذا من التنفير عنها والتحذير منها كما قال ﷺ في العائد في هبته «كالكلب يقيء ثم يرجع في قيئه» وقد قال : «ليس لنا مثل السوء» وثبت في الصحاح والحسان والمسانيد من غير وجه أنه ﷺ قال في خطبة الوداع «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا» .

وقال أبو داوود : حدثنا واصل بن عبد الأعلى ، حدثنا أسباط بن محمد عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ «كل المسلم حرام ماله وعرضه ودمه ، حسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم» ورواه الترمذي عن عبيد بن أسباط بن محمد عن أبيه به وقال : حسن غريب . وحدثنا عثمان بن ابي شيبة : حدثنا الاسود بن عامر ، حدثنا أبو بكر بن عياش عن الأعمش عن سعيد بن عبد الله بن خديج عن أبي بردة البلوي قال : قال رسول الله ﷺ «يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الايمان في قلبه ، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم ، فانه من يتبع عوراتهم يتبع الله عورته ، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته» تفرد به أبو داود وقد روي من حديث البراء بن عازب .
فقال الحافظ أبو يعلى في مسنده : حدثنا إبراهيم بن دينار ، حدثنا مصعب بن سلام عن حمزة بن حبيب الزيات ، عن أبي إسحاق السبيعي عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : خطبنا رسول الله ﷺ حتى أسمع العواتق في بيوتها ـ او قال ـ في خدورها ، فقال : يا معشر من آمن بلسانه ، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم ، فانه من يتبع عورة أخيه يتبع الله عورته . ومن يتبع الله عورته يفضحه في جوف بيته» .
[طريق اخرى] عن ابن عمر . قال أبو بكر أحمد بن إبراهيم الاسماعيلي : حدثنا عبد الله بن ناجية ، حدثنا يحيى بن أكثم ، حدثنا الفضل بن موسى الشيباني عن الحسين بن واقد عن أوفى بن دلهم عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله ﷺ قال «يا معشر من آمن بلسانه ولم يفض الايمان إلى قلبه ، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم ، فانه من يتبع عورات المسلمين يتبع الله عورته ، ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله» قال : ونظر ابن عمر يوماً إلى الكعبة فقال : ما أعظمك وأعظم حرمتك وللمؤمن أعظم حرمة عند الله منك . قال أبو داود : حدثنا حيوة بن شريح ، حدثنا قتيبة عن ابن ثوبان عن أبيه عن مكحول ، عن وقاص بن ربيعة عن المسور انه حدثه ان النبي ﷺ قال «من أكل برجل مسلم أكلة فان الله يطعمه مثلها في جهنم ، ومن كسا ثوباً برجل مسلم فان الله يكسوه مثله في جهنم ، ومن قام برجل مقام سمعة ورياء فان الله تعالى يقوم به مقام سمعة ورياء يوم القيامة» تفرد به ابو داود . وحدثنا ابن مصفي حدثنا بقية وأبو المغيرة ، حدثنا صفوان ، حدثني راشد بن سعد وعبد الرحمن بن جبير عن انس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : «لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخشمون وجوههم وصدورهم ، قلت : من هؤلاء يا جبرائيل ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم» . تفرد به أبو داود وهكذا رواه الإمام أحمد عن أبي المغيرة عبد القدوس بن الحجاج الشامي به .

وقال ابن ابي حاتم : حدثنا ابي ، حدثنا احمد بن عبدة ، اخبرنا ابو عبد الصمد بن عبد العزيز العمي ، أخبرنا أبو هارون العبدي عن ابي سعيد الخدري قال : قلنا يا رسول الله حدثنا ما رأيت ليلة أسري بك ؟ قال : ثم انطلق بي إلى خلق من خلق الله كثير ، رجال ونساء موكل بهم رجال يعمدون إلى عرض جنب أحدهم ، فيجذون منه الجذة مثل النعل ثم يضعونه في أحدهم ، فيقال له كل كما أكلت وهو يجد من أكله الموت يا محمد لو يجد الموت وهو يكره عليه ، فقلت : يا جبرائيل من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الهمازون واللمازون أصحاب النميمة ، فيقال أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه وهو يكره على أكل لحمه ، هكذا أورد هذا الحديث وقد سقناه بطوله في أول تفسير سورة سبحان ولله الحمد والمنة . وقال أبو داود الطيالسي في مسنده : حدثنا الربيع عن يزيد عن أنس أن رسول الله ﷺ ، أمر الناس أن يصوموا يوماً

ولا يفطرن أحد حتى آذن له ، فصام الناس ، فلما أمسوا جعل الرجل يجيء إلى رسول الله ﷺ فيقول ظللت منذ اليوم صائماً فائذن لي فأفطر فأذن له ويجيء الرجل فيقول ذلك ، فيأذن له حتى جاء رجل فقال : يا رسول الله إن امرأتين من أهلك ظلتا منذ اليوم صائمتين ، فائذن لهما فليفطرا ، فأعرض عنه ثم أعاد ، فقال رسول الله ﷺ «ما صامتا ، وكيف صام من ظل يأكل من لحوم الناس ؟ اذهب فمرهما إن كانتا صائمتين ، أن يستقيئا» ففعلتا ، فقاءت كل واحدة منهما علقة ، فأتى النبي ﷺ فأخبره ، فقال رسول الله ﷺ «لو ماتتا وهما فيهما لأكلتهما النار» إسناد ضعيف ومتن غريب . وقد رواه الحافظ البيهقي من حديث يزيد بن هارون .

حدثنا سليمان التيمي قال : سمعت رجلاً يحدث في مجلس أبي عثمان النهدي عن عبيد مولى رسول الله ﷺ أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله ﷺ ، وأن رجلاً أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إن ههنا امرأتين صامتا وإنهما كادتا تموتان من العطش ، أراه قال بالهاجرة ، فأعرض عنه أو سكت عنه ، فقال : يا نبي الله إنهما والله قد ماتتا أو كادتا تموتان ، فقال : ادعهما . فجاءتا قال : فجيء بقدح أو عس ، فقال لاحداهما : قيئي . فقاءت من قيح ودم وصديد حتى قاءت نصف القدح ، ثم قال للأخرى : قيئي ، فقاءت قيحاً ودماً وصديداً ولحماً ودماً عبيطاً وغيره حتى ملأت القدح ، ثم قال : إن هاتين صامتا عما أحل الله تعالى لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما ، جلست إحداهما إلى الأخرى فجعلتا تأكلان لحوم الناس . وهكذا رواه الإمام احمد عن يزيد بن هارون وابن أبي عدي ، كلاهما عن سليمان بن صوعان التيمي به مثله أو نحوه ، ثم رواه أيضاً من حديث مسدد عن يحيى القطان عن عثمان بن غياث . حدثني رجل أظنه في حلقة أبي عثمان عن سعد مولى رسول الله ﷺ ، أنهم أمروا بصيام ، فجاء رجل في نصف النهار فقال : يا رسول الله فلانة وفلانة قد بلغتا الجهد فأعرض عنه مرتين أو ثلاثا ثم قال «ادعهما» فجاء بعس أو قدح فقال لاحداهما : قيئي . فقاءت لحماً ودماً عبيطاً وقيحاً ، وقال للاخرى مثل ذلك ثم قال : إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما . أتت إحداهما للاخرى فلم تزالا تأكلان لحوم الناس حتى امتلأت أجوافهما قيحاً . قال البيهقي : كذا قال عن سعد ، والأول وهو عبيد أصح .

وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا عمرو بن الضحاك بن مخلد ، حدثنا ابي ، ثنا أبو عاصم ، حدثنا ابن جريج ، أخبرني أبو الزبير عن ابن عمر لأبي هريرة أن ماعزا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إني قد زنيت ، فأعرض عنه حتى قالها أربعاً ، فلما كان في الخامسة قال : زنيت ؟ قال : نعم . قال : وتدري ما الزنا ؟ قال : نعم أتيت منها حراماً ما يأتي الرجل من امرأته حلالاً . قال : ما تريد إلى هذا القول ؟ قال : أريد أن تطهرني . قال : فقال رسول الله ﷺ : أدخلت ذلك منك في ذلك منها كما يغيب الميل في المكحلة والرشا في البئر ؟ قال : نعم يا رسول الله قال : فأمر برجمه ، فرجم ؛ فسمع النبي ﷺ رجلين يقول أحدهما لصاحبه : ألم تر إلى هذا الذي ستر الله عليه ، فلم تدعه نفسه حتى رجم رجم الكلب ؟ ثم سار النبي ﷺ حتى مر بجيفة حمار فقال : «أين فلان وفلان ؟ انزلا فكلا من جيفة هذا الحمار» . قالا : غفر الله لك يا رسول الله وهل يؤكل هذا ؟ قال ﷺ : «فما نلتما من أخيكما آنفاً أشد أكلاً منه ، والذي نفسي بيده إنه الآن لفي أنهار الجنة ينغمس فيها» إسناد صحيح .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثني أبي ، حدثنا واصل مولى ابن عيينة ، حدثني خالد بن عرفطة عن طلحة بن نافع عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : كنا مع النبي ﷺ فارتفعت ريح جيفة منتنة . فقال رسول الله ﷺ : «أتدرون ما هذه الريح ؟ هذه ريح الذين يغتابون الناس» .

[طريق أخرى] قال عبد بن حميد في مسنده : حدثنا إبراهيم بن الأشعث ، حدثنا الفضيل بن عياض عن سليمان عن أبي سفيان وهو طلحة بن نافع عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : كنا مع النبي ﷺ في سفر فهاجت ريح منتنة ، فقال النبي ﷺ «إن نفراً من المنافقين اغتابوا ناساً من المسلمين فلذلك بعثت هذه الريح» وربما قال «فلذلك هاجت هذه الريح» وقال السدي في قوله تعالى : ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً ؟﴾ زعم أن سلمان الفارسي رضي الله عنه كان مع رجلين من أصحاب النبي ﷺ في سفر يخدمهما ويخف لهما وينال من طعامهما ، وأن سلمان رضي الله عنه لما سار الناس ذات يوم ، وبقي سلمان رضي الله عنه نائماً لم يسر معهم ، فجعل صاحباه يكلمانه فلم يجداه ، فضربا الخباء فقالا : ما يريد سلمان أو هذا العبد شيئاً غير هذا أن يجيء إلى طعام مقدور وخباء مضروب ، فلما جاء سلمان أرسلاه إلى رسول الله ﷺ يطلب لهما إداماً ، فانطلق فأتى رسول الله ﷺ ومعه قدح له فقال : يا رسول الله بعثني أصحابي لتؤدمهم إن كان عندك . قال ﷺ «ما يصنع أصحابك بالأدم ؟ قد ائتدموا» فرجع سلمان رضي الله عنه يخبرهما بقول رسول الله ﷺ فانطلقا حتى أتيا رسول الله فقال : والذي بعثك بالحق ما أصبنا طعاماً منذ نزلنا . قال رسول الله ﷺ «إنكما قد ائتدمتما بسلمان بقولكما» قال : ونزلت ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً﴾ أنه كان نائماً .

وروى الحافظ الضياء المقدسي في كتابه المختار من طريق حسان بن هلال عن حماد بن سلمة عن ثابت ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : كانت العرب تخدم بعضها بعضاً في الأسفار ، وكان مع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، رجل يخدمهما فناما فاستيقظا ولم يهيء لهما طعاماً فقالا : إن هذا لنؤوم فأيقظاه ، فقالا له : ائت رسول الله ﷺ فقل له إن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما يقرئانك السلام ويستأدمانك فقال ﷺ «إنهما قد ائتدما» فجاءا فقالا يا رسول الله بأي شيء ائتدمنا ؟ فقال ﷺ «بلحم أخيكما ، والذي نفسي بيده إني لأرى لحمه بين ثناياكما» فقالا رضي الله عنهما : استغفر لنا يا رسول الله ، فقال ﷺ «مُرَاهُ فليستغفر لكما» وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا الحكم بن موسى ، حدثنا محمد بن مسلمة عن محمد بن إسحاق ، عن عمه موسى بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «من أكل من لحم أخيه في الدنيا قرب الله إليه لحمه في الآخرة فيقال له كله ميتاً كما أكلته حياً ـ قال ـ فيأكله ويكلح ويصيح» غريب جداً .

وقوله عز وجل ﴿واتقوا الله﴾ أي فيما أمركم به ونهاكم عنه فراقبوه في ذلك واخشوا منه ﴿إن الله تواب رحيم﴾ أي تواب على من تاب إليه رحيم لمن رجع إليه واعتمد عليه . قال الجمهور من العلماء : طريق المغتاب للناس في توبته أن يقلع عن ذلك ويعزم على أن لا يعود ، وهل يشترط الندم على ما فات ؟ فيه نزاع ، وأن يتحلل من الذي اغتابه . وقال آخرون : لا يشترط أن يتحلله فإنه إذا أعلمه بذلك ربما تأذى أشد مما إذا لم يعلم بما كان منه ، فطريقه إذاً أن يثني عليه بما فيه في المجالس التي كان يذمه فيها ، وأن يرد عنه الغيبة بحسبه وطاقته ، لتكون تلك بتلك كما قال الإمام أحمد ، حدثنا أحمد بن الحجاج ، حدثنا عبد الله ، أخبرنا يحيى بن أيوب عن عبد الله بن سليمان أن إسماعيل بن يحيى المعافري أخبره أن سهل بن معاذ بن أنس الجهني أخبره عن أبيه رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «من حمى مؤمناً من منافق يغتابه ، بعث الله تعالى إليه ملكاً يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم ، ومن رمى مؤمناً بشيء يريد سبه حبسه الله تعالى على جسر جهنم حتى يخرج مما قال» وكذا رواه أبو داود من حديث عبد الله وهو ابن المبارك به بنحوه . وقال أبو داود أيضاً : حدثنا إسحاق بن الصباح ، حدثنا ابن أبي مريم ، أخبرنا الليث ، حدثني يحيى بن سليم أنه سمع إسماعيل بن بشير يقول : سمعت جابر بن عبد الله وأبا طلحة بن سهل الأنصاري رضي الله عنهما يقولان قال رسول الله ﷺ «ما من امرىء يخذل امرءاً مسلماً في موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه ، إلا خذله الله تعالى في مواطن يحب فيها نصرته ، وما من امرىء ينصر امرءاً مسلماً في موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله عز وجل في مواطن يحب فيها نصرته» تفرد به أبو دواد

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾

يقول تعالى مخبراً للناس أنه خلقهم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ، وهما آدم وحواء ، وجعلهم شعوباً وهي أعم من القبائل ، وبعد القبائل ، مراتب أخر كالفصائل والعشائر والعمائر والأفخاذ وغير ذلك ، وقيل : المراد بالشعوب بطون العجم ، وبالقبائل بطون العرب ، كما أن الأسباط بطون بني إسرائيل ، وقد لخصت هذه في مقدمة مفردة جمعتها من كتاب الأشباه لأبي عمر بن عبد البر ، ومن كتاب (القصد والأمم في معرفة أنساب العرب والعجم) فجميع الناس في الشرف بالنسبة الطينية إلى آدم وحواء عليهما السلام سواء ، وإنما يتفاضلون بالأمور الدينية وهي طاعة الله تعالى ومتابعة رسوله ﷺ ، ولهذا قال تعالى بعد النهي عن الغيبة واحتقار بعض الناس بعضاً ، منبهاً على تساويهم في البشرية ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا﴾ أي ليحصل التعارف بينهم كل يرجع إلى قبيلته ، وقال مجاهد في قوله عز وجل ﴿لتعارفوا﴾ كما يقال فلان بن فلان من كذا وكذا أي قبيلة كذا وكذا ، وقال سفيان الثوري : كانت حمير ينتسبون إلى مخاليفها ، وكانت عرب الحجاز ينتسبون إلى قبائلها ، وقد قال أبو عيسى الترمذي : حدثنا أحمد بن محمد ، حدثنا عبد الله بن المبارك عن عبد الملك بن عيسى الثقفي ، عن يزيد مولى المنبعث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم ، فإن صلة الرحم محبة في الأهل مثراة في المال منسأة في الأثر» ثم قال غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

وقوله تعالى : ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ أي إنما تتفاضلون عند الله تعالى بالتقوى لا بالأحساب ، وقد وردت الأحاديث بذلك عن رسول الله ﷺ . قال البخاري : حدثنا محمد بن سلام ، حدثنا عبدة عن عبيد الله عن سعيد بن أبي سعيد رضي الله عنه عن أبي هريرة قال : سئل رسول الله ﷺ أي الناس أكرم ؟ قال «أكرمهم عند الله أتقاهم» قالوا : ليس

عن هذا نسألك . قال «فأكرم الناس يوسف نبي الله ، ابن نبي الله ، ابن نبي الله ، ابن خليل الله» قالوا : ليس عن هذا نسألك . قال «فعن معادن العرب تسألوني» ؟ قالوا : نعم . قال «فخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا» وقد رواه البخاري في غير موضع من طرق عن عبدة بن سليمان ، ورواه النسائي في التفسير من حديث عبيد الله وهو ابن عمر العمري به .

[حديث آخر] قال مسلم رحمه الله : حدثنا عمرو الناقد ، حدثنا كثير بن هشام ، حدثنا جعفر بن برقان عن يزيد بن الأصم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ؛ قال رسول الله ﷺ «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» ورواه ابن ماجة عن أحمد بن سنان عن كثير بن هشام به .

[حديث آخر] وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع عن أبي هلال عن بكر عن أبي ذر رضي الله عنه قال : إن النبي ﷺ قال له «انظر فإنك لست بخير من أحمر ولا أسود إلا أن تفضله بتقوى الله» تفرد به أحمد رحمه الله .

[حديث آخر] وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حدثنا أبو عبيدة عبد الوارث بن إبراهيم العسكري ، حدثنا عبد الرحمن بن عمرو بن جبلة ، حدثنا عبيد بن حنين الطائي ، سمعت محمد بن حبيب بن خراش العصري يحدث عن أبيه رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول «المسلمون إخوة لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى» .

[حديث آخر] قال أبو بكر البزار في مسنده : حدثنا أحمد بن يحيى الكوفي ، حدثنا الحسن بن الحسين ، حدثنا قيس يعني ابن الربيع عن شبيب بن عرقدة ، عن المستظل بن حصين عن حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «كلكم بنو آدم وآدم خلق من تراب ، ولينتهين قوم يفخرون بآبائهم أو ليكونن أهون على الله تعالى من الجعلان» . ثم قال لا نعرفه عن حذيفة إلا من هذا الوجه .

[حديث آخر] قال ابن أبي حاتم : حدثنا الربيع بن سليمان ، حدثنا أسد بن موسى ، حدثنا يحيى بن زكريا القطان ، حدثنا موسى بن عبيدة عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : طاف رسول الله ﷺ يوم فتح مكة على ناقته القصواء يستلم الأركان بمحجن في يده ، فما وجد لها مناخاً في المسجد حتى نزل ﷺ على أيدي الرجال ، فخرج بها إلى بطن المسيل فأنيخت ، ثم إن رسول الله ﷺ خطبهم على راحلته فحمد الله تعالى وأثنى عليه بما هو له أهل ثم قال «يا أيها الناس إن الله تعالى قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وتعظمها بآبائها ، فالناس رجلان : رجل برّ تقي كريم على الله تعالى ، ورجل فاجر شقي هين على الله تعالى ، إن الله عز وجل يقول ﴿**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير**﴾ ـ ثم قال ﷺ ـ أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم» هكذا رواه عبد بن حميد عن أبي عاصم الضحاك عن مخلد عن موسى بن عبيدة به .

[حديث آخر] قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن إسحاق ، حدثنا ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن علي بن رباح ، عن عقبة بن عامر رضي الله عنهما قال : إن رسول الله ﷺ قال «إن أنسابكم هذه ليست بمسبة على أحد ، كلكم بنو آدم طف الصاع لم يملؤوه ، ليس لأحد على أحد فضل إلا بدين وتقوى ، وكفى بالرجل أن يكون بذياً بخيلاً فاحشاً» . وقد رواه ابن جرير عن يونس عن ابن وهب عن ابن لهيعة به ولفظه «الناس لآدم وحواء طف الصاع لم يملؤوه ، إن الله لا يسألكم عن أحسابكم ولا عن أنسابكم يوم القيامة ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم» . وليس هو في شيء من الكتب الستة من هذا الوجه .

[حديث آخر] قال الإمام أحمد : حدثنا أحمد بن عبد الملك ، حدثنا شريك عن سماك عن عبد الله بن عميرة زوج درة بنت أبي لهب ، عن درة بنت أبي لهب رضي الله عنها قالت : قام رجل إلى النبي ﷺ وهو على المنبر فقال : يا رسول الله أي الناس خير ؟ قال ﷺ «خير الناس أقرأهم وأتقاهم لله عز وجل ، وآمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأوصلهم للرحم» .

[حديث آخر] قال الإمام أحمد : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا أبو الأسود عن القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما أعجب رسول الله ﷺ شيء من الدنيا ولا أعجبه أحد قط إلا ذو تقى ، تفرد به أحمد .

وقوله تعالى : ﴿**إن الله عليم خبير**﴾ أي عليم بكم خبير بأموركم ، فيهدي من يشاء ويضل من يشاء ، ويرحم من يشاء ويعذب من يشاء ، ويفضل من يشاء على من يشاء ، وهو الحكيم العليم الخبير في ذلك كله ، وقد استدل بهذه الآية الكريمة وهذه الأحاديث الشريفة من ذهب من العلماء إلى ان الكفاءة في النكاح لاتشترط ولايشترط سوى الدين لقوله تعالى : ﴿**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾ وذهب الآخرون إلى أدلة اخرى مذكورة في كتب الفقه ، وقد ذكرنا طرفاً من ذلك في (كتاب الأحكام) ولله الحمد والمنة . وقد روى الطبراني عن عبد الرحمن أنه سمع رجلاً من بني هاشم يقول : أنا أولى الناس برسول الله ﷺ فقال غيره : أنا أولى به منك ولي منه نسبة .

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ
وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٤) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا
وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (١٥) قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ
يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٦) يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ
يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٧) إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨)﴾

يقول تعالى منكراً على الأعراب الذين أول مادخلوا في الإسلام ، ادعوا لأنفسهم مقام الإيمان ولم يتمكن الإيمان في قلوبهم بعد **﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم﴾** وقد استفيد من هذه الآية الكريمة أن الإيمان أخص من الإسلام كما هو مذهب أهل السنة والجماعة ، ويدل عليه حديث جبريل عليه الصلاة والسلام حين سأل عن الإسلام ثم عن الإيمان ثم عن الإحسان ، فترقى من الأعم إلى الأخص ثم للأخص منه . وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر عن الزهري عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه رضي الله عنهما قال : أعطى رسول الله ﷺ رجالاً ولم يعط رجلاً منهم شيئاً ، فقال سعد رضي الله تعالى عنه : يارسول الله أعطيت فلاناً وفلاناً ولم تعط فلاناً شيئاً ، وهو مؤمن ، فقال النبي ﷺ : أو مسلم ؟ حتى أعادها سعد رضي الله عنه ثلاثاً والنبي ﷺ يقول : أو مسلم ؟ ثم قال النبي ﷺ «إني لأعطي رجالاً وأدع من هو أحب إلي منهم ، فلم أعطه شيئاً مخافة أن يكبوا في النار على وجوههم» أخرجاه في الصحيحين من حديث الزهري به . فقد فرق النبي ﷺ بين المؤمن والمسلم ، فدل على أن الإيمان أخص من الإسلام ، وقد قررنا ذلك بأدلته في أول شرح كتاب الإيمان من صحيح البخاري ولله الحمد والمنة . ودل ذلك على أن ذاك الرجل كان مسلماً ليس منافقاً لأنه تركه من العطاء ، ووكله إلى ماهو فيه من الإسلام ، فدل هذا على أن هؤلاء الأعراب المذكورين في هذه الآية ليسوا بمنافقين ، وإنما هم مسلمون لم يستحكم الإيمان في قلوبهم ، فادعوا لأنفسهم مقاماً أعلى مما وصلوا إليه فأدبوا في ذلك ، وهذا معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما وإبراهيم النخعي وقتادة واختاره ابن جرير . وإنما قلنا هذا لأن البخاري رحمه الله ذهب إلى أن هؤلاء كانوا منافقين يظهرون الإيمان وليسوا كذلك .

وقد روي عن سعيد بن جبير ومجاهد وابن زيد أنهم قالوا في قوله تبارك وتعالى **﴿ولكن قولوا أسلمنا﴾** أي استسلمنا خوف القتل والسبي . قال مجاهد : نزلت في بني أسد بن خزيمة . وقال قتادة : نزلت في قوم امتنوا بإيمانهم على رسول الله ﷺ ، والصحيح الأول أنهم قوم ادعوا لأنفسهم مقام الإيمان ، ولم يحصل لهم بعد فأدبوا وأعلموا أن ذلك لم يصلوا إليه بعد . ولو كانوا منافقين لعنفوا وفضحوا كما ذكر المنافقون في سورة براءة ، وإنما قيل لهؤلاء تأديباً **﴿قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم﴾** أي لم تصلوا إلى حقيقة الإيمان بعد . ثم قال تعالى : **﴿وإن تطيعوا الله ورسوله لايلتكم من أعمالكم شيئاً﴾** أي لاينقصكم من أجوركم شيئاً كقوله عز وجل **﴿وماألتناهم من عملهم من شيء﴾** وقوله تعالى : **﴿إن الله غفور رحيم﴾** أي لمن تاب إليه وأناب . وقوله تعالى : **﴿إنما المؤمنون﴾** أي إنما المؤمنون الكمل **﴿الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا﴾** أي لم يشكوا ولاتزلزلوا بل ثبتوا على حال واحدة هي التصديق المحض **﴿وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله﴾** أي وبذلوا مهجهم ونفائس أموالهم في طاعة الله ورضوانه **﴿أولئك هم الصادقون﴾** أي في قولهم إذا قالوا إنهم مؤمنون ، لاكبعض الأعراب الذين ليس لهم من الإيمان إلا الكلمة الظاهرة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن غيلان ، حدثنا رشدين ، حدثنا عمرو بن الحارث عن أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : إن النبي ﷺ قال «المؤمنون في الدنيا على ثلاثة أجزاء : الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، والذي يأمنه الناس على أموالهم وأنفسهم ، والذي إذا أشرف على طمع تركه لله عز وجل» وقوله سبحانه وتعالى : **﴿قل أتعلمون الله بدينكم﴾** أي أتخبرونه بما في ضمائركم **﴿والله يعلم مافي السموات ومافي الأرض﴾** أي لايخفى عليه مثقال ذرة في الأرض ولافي السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر **﴿والله بكل شيء عليم﴾** ثم قال تعالى : **﴿يمنون عليك أن أسلموا قل لاتمنوا علي إسلامكم﴾** يعني الأعراب الذين يمنون بإسلامهم ومتابعتهم

obeikandi.com

ونصرتهم على الرسول ﷺ يقول الله تعالى رداً عليهم ﴿قل لاتمنوا عليّ إسلامكم﴾ فإن نفع ذلك إنما يعود عليكم ولله المنة عليكم فيه ﴿بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين﴾ أي في دعواكم ذلك كما قال النبي ﷺ للأنصار يوم حنين «يامعشر الأنصار ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله بي؟ وكنتم عالة فأغناكم الله بي؟» كلما قال شيئاً قالوا؛ الله ورسوله أمن.

وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري، حدثنا يحيى بن سعيد الأموي عن محمد بن قيس عن أبي عون، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاءت بنو أسد إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يارسول الله أسلمنا وقاتلتك العرب ولم نقاتلك. فقال رسول الله ﷺ: «إن فقههم قليل وإن الشيطان ينطق على ألسنتهم». ونزلت هذه الآية ﴿يمنون عليك أن أسلموا قل لاتمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين﴾ ثم قال: لانعلمه يروى إلا من هذا الوجه، ولانعلم روى أبو عون محمد بن عبيد الله عن سعيد بن جبير غير هذا الحديث. ثم كرر الأخبار بعلمه بجميع الكائنات وبصره بأعمال المخلوقات فقال ﴿إن الله يعلم غيب السموات والأرض والله بصير بما تعملون﴾ آخر تفسير سورة الحجرات، ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة.

سورة ق

ترتيبها ٥٠ — آياتها ٤٥

هذه السورة هي أول الحزب المفصل على الصحيح وقيل من الحجرات. وأما مايقوله العوام إنه من (عم) فلا أصل له ولم يقله أحد من العلماء رضي الله عنهم المعتبرين فيما نعلم. والدليل على أن هذه السورة هي أول المفصل مارواه أبو داود في سننه باب تحزيب القرآن ثم قال: حدثنا مسدد، حدثنا قراب بن تمام، حدثنا عبد الله بن سعيد أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو خالد، ثنا سليمان بن حبان، وهذا لفظه عن عبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى عن عثمان بن عبد الله بن أوس عن جده، قال عبد الله بن سعيد: حدثنيه أوس بن خذيفة ثم اتفقنا قال: قدمنا على رسول الله ﷺ في وفد ثقيف، قال فنزلت الاحلاف على المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، وأنزل الرسول ﷺ بني مالك في قبة له، قال مسدد: وكان في الوفد الذين قدموا على رسول الله ﷺ من ثقيف، قال كان رسول الله ﷺ كل ليلة يأتينا بعد العشاء يحدثنا، قال أبو سعيد، قائماً على رجليه حتى يراوح بين رجليه من طول القيام، فأكثر مايحدثنا به ﷺ مالقي من قومه قريش ثم يقول ﷺ «لاأساء وكنا مستضعفين مستذلين ـ قال مسدد بمكة ـ فلما خرجنا الى المدينة كانت الحرب سجالاً بيننا وبينهم ندال عليهم ويدالون علينا» فلما كانت ليلة أبطأ عنا ﷺ عن الوقت الذي كان يأتينا فيه، فقلنا: لقد أبطأت علينا الليلة، قال ﷺ «إنه طرأ علي حزبي من القرآن فكرهت أن أجيء حتى أتمه». قال أوس: سألت أصحاب رسول الله ﷺ كيف يحزبون القرآن؟ فقالوا: ثلاث وخمس وسبع وتسع وإحدى عشرة وثلاث عشرة.

وحزب المفصل وحده، ورواه ابن ماجة عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي خالد الأحمر به، ورواه الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن مهدي عن عبد الله بن عبد الرحمن هو ابن يعلى الطائفي به. إذا علم هذا فإذا عددت ثمانياً وأربعين سورة فالتي بعدهن سورة ق. بيانه ثلاث: البقرة وآل عمران والنساء. وخمس: المائدة والأنعام والأعراف والأنفال وبراءة. وسبع: يونس وهود ويوسف والرعد وإبراهيم والحجر والنحل. وتسع: سبحان والكهف ومريم وطه والأنبياء والحج والمؤمنون والنور والفرقان. وإحدى عشرة: الشعراء والنمل والقصص والعنكبوت والروم ولقمان والۤم السجدة والأحزاب وسبأ وفاطر ويس. وثلاث عشرة: الصافات وصۤ والزمر وغافر وحۤم السجدة وحم عسق والزخرف والدخان والجاثية والأحقاف والقتال والفتح والحجرات. ثم بعد ذلك الحزب المفصل كما قاله الصحابة رضي الله عنهم. فتعين أن أوله سورة ق وهو الذي قلنا ولله الحمد والمنة. وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا مالك عن ضمرة بن سعيد عن عبد الله بن عبد الله أن عمر بن الخطاب سأل أبا واقد الليثي: ماكان رسول الله ﷺ يقرأ في العيد؟ قال: بقاف واقتربت، ورواه مسلم وأهل السنن الأربعة من حديث مالك به. وفي رواية لمسلم عن مالك عن ضمرة عن عبد الله بن أبي واقد قال: سألني عمر رضي الله عنه، فذكره.

[حديث آخر] وقال أحمد: حدثنا يعقوب، حدثنا أبي، ثنا أبي إسحاق، حدثني عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن عمرو بن حزم عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة، عن أم هشام بنت حارثة قالت: لقد كان تنورنا.